"المزهر في علم اللغة العربية وأنواعها" لجلال الدين السيوطي(849 ـ 911هـ)

I. التعريف بالكاتب:

أ- الزخم العلمي في عصره:

في عصر المماليك غصه المدارس في مصر والشام بخزائن الكتب ونفائس المصنفات مهيئة لطلاب العلم والمعرفة في كل مكان. وزخرت القاهرة والإسكندرية وقوص وأسيوط، ودمشق وحلب وحمص وحماه بالأعيان من العلماء، والأعلام من الفضلاء الفقهاء والمؤرخين وأصحاب المعاجم ومؤلفيه الموسوعات؛ فكان منهم القسطلاني والنووي وابن تيميه والنويري والسيوطي والعمري والمقريزي وابن خلي كان وابن خلدون وابن منظور والفيروز آبادي و ابن مالك وابن هشام.

وعلماء هذا العصر لهم طابع خاص؛ فالمؤرخ فقيه والفقيه/ وهما قد اخذ بنصيب كبير من اللغة أو الرياضة أو الحديث أو التفسير؛ ولم يثنيهم عن طلب العلم ما كان يحيط عصرهم من مؤثرات الظلم أو نزاع الأمراء والوزراء... وفي الجملة رفعوا لواء العلم قرابة ثلاثة قرون، وحمل عنهم انفس الكتب والأسفار.

وفي أخريات هذه الحقبة من حياة الأمه الإسلامية نشأ عالمنا جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، فتأثر بها وأثر فيها، وكانت حياته ورحلاته ومصنفاته...صوره صادقه منها.

ب- تعريف بالسيوطي:

هو عبد الرحمن بن أبي بكر **بن** محمد **بن** أبي بكر **بن** عثمان **بن** محمد **بن** خليل **بن** نصر **بن** الخضر **بن** الهمام الجلال **بن** الكمال بن ناصر الدين ناصر الدين السيوطي الأصل الطولوني الشافعي.

نشأ يتيما فحفظ القرآن الكريم صغيرا والعمدة النحو وعرض في سنة 864 واخذ العلوم عن شيوخ أجلاء، وقرا كل ما وقع له من الكتب ولقنا معظم العلوم المتداولة في ذلك العهد.[1]

أهم الشيوخ الذين أخذ عنهم الشمس محمد **بن** موسى الحنفي إمام الشيخونية في النحو، وعن الفخر عثمان المقسي والشموس البامي و**بن** الفلاتي ومن يوسف احد فضلاء الشيخونية، وتفقه على العالم البلقيني

1 جلال الدين السيوطي، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، شرح وضبط محمد احمد جاد المولى ومحمد أبو الفضل إبراهيم، دار التراث، الطبعة الثالثة، د.ت، 2/ 640، 641.

والشمني والكافيجي. ولازم السخاوي وبن حجر في الرواية وتردد يسيرا للزين قاسم والبقاعي. ثم سافر إلى الفيوم ودمياط وكتب عن جماعه، ثم إلى مكة سنة 69 فاخذ عن الحيوي وابن فهد.[1]

ج- أخلاقه:

وكان السيوطي عفيفا كريما صالحا تقيا، لا يمد يده ولا يقف على باب أمير أو وزير، بل كان الأمراء يأتون لزيارته ويعرضون عليه عطاءاتهم فيردّها.

واعتزل الناس وعمره أرعون سنة، كما اعتزل أصحابه ،وهجر الناس، وتفرغ للعبادة والتأليف. وتوفي سنة (911 هـ)، وله من العمر اثنتان وستون سنة.[2]

د- مؤلفاته:

ما خلفه السيوطي ثروه مكتبه كبيره في مجالات علميه متعددة كالتفسير والقراءات والحديث والفقه والعربية وفقه اللغة والأدب والتاريخ وعلوم البلاغة، ومنها: الإتقان في علوم القرآن، الأشباه والنظائر في العربية، الاقتراح في أصول النحو، الألفاظ المعربة، الألفية في مصطلح الحديث، الألفية في النحو واسمها الفريدة، وله شرح عليها، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تفسير الجلالين، حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة، شرح شواهد المغني، لب اللباب في تحرير الأنساب، همع الهوامع في شرح جمع الجوامع في النحو، المزهر في علوم اللغة وأنواعها.[3] وهو موضوع محاضرتنا هذه.

II. التعريف بالكتاب:

1. مقدمة الكتاب:

كتاب المزهر هو من خير الكتب التي ألفها جلال الدين السيوطي، وقد جعله مؤلفه في خمسين نوعا:

أ- ثمانية في اللغة من حيث هي الإسناد.
ب- وثلاثة عشر من حيث الألفاظ.
ج- وثلاثة عشر من حيث المعنى.
د- وخمسة من حيث لطائفها وملحها.
هـ- وواحد راجع إلى حفظ اللغة وضبط مفاريدها.

---

1 ينظر شمس الدين محمد السخاوي، الضوء اللامع في أهل القرن التاسع، منشورات دار مكتبه الحياه، بيروت،4/ 66.

2 ينظر مصطفى ابن عبد الله القسطنطيني، سلم الوصول إلى طبقات الفحول، تقديم كمال الدين إحسان أوغلي، مكتبة ارسيكا اسطنبول، تركيا، 2010، 2 / 248.

3 ينظر الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، 67/4.

و- وثمانية راجعة إلى حال اللغة ورواتها.

ز- ونوع لمعرفه الشعر والشعراء.

ح- والأخيرة لمعرفه أغلاط العرب.

غير أن الذي يجب الإشارة إليه أن هذا الكتاب على ضخامته ليس فيه للسيوطي إلا الجمع والترتيب، عدا إشارات قليلة نجدها مبعثره في ثنايا الكتاب، وفقرات قد يقدم بها بين يدي الباب أو يختمه؛ وليس أدل على طريقة المؤلف هذه من مقدمة الكتاب فلقد ضمنها مقدمة كتاب الصاحبي ابن فارس، وبعد أن أوردها قال:" وبمثل قوله أقول في هذا الكتاب، وذلك حين الشروع في المقصود بعون الله المعبود"

ولا يحملنا ما تقدم على جحود عمل المؤلف ونكران فضله؛ فلقد وعى كتابه كثيرا مما حوته كتب اللغة، و بدل مجهودا مشكورا في ترتيب ما نقله ووضعه في محله، وذلك لا شك يدل على اطلاع واسع وإحاطة شامله.[1]

2. منهجه وقيمته:

لم يذكر السيوطي بلفظ صريح الأسباب التي دعته إلى تأليف "المزهر" ولكنه ذكر في المقدمة:" هذا علم شريف ابتكرت ترتيبه واخترعت تنويعه وتبويبه وذلك في علوم اللغة وأنواعها وشروط أدائها وسماعها حاكيت به علوم الحديث في التقاسيم والأنواع وأتيت فيه بعجائب وغرائب حسنة الإبداع.

وقد كان كثير ممن تقدم يلم بأشياء من ذلك ويعتني في بيانها بتمهيد المسالك غير أن هذا المجموع لم يسبقني إليه سابق ولا طرق سبيله قبلي. طارق وقد سميته بالمزهر في علوم اللغة.[2]

فما ذكره في المقدمة هو لجه عن منهجه في تقديم مادة الكتاب أي ترتيب وتبويب من ابتكاره، اقتبس تقاسيمه وأنواعه من علوم الحديث، ليسقطه على علوم اللغة. وأما في تفاصيل الكتاب فلم يتبع السيوطي منهجا واضحا، بل اعتمد على جمع المادة الغزيرة والمتنوعة التي يصعب ترتيبها وتنظيمها.

وهو كتاب يضم مباحث في فقه اللغة، وعلم الأصوات، وعلم الصرف، والنحو والدلالة والبلاغة. وهي مباحث كثيرا ما وردت متداخلة في الكتاب.

يمثل السيوطي موسوعة معارف عصره كما يعتبر خاتمة اللائمة في العصور الإسلامية. وقد أصبحت كلها مراجع مهمة بعده إلى الوقت الحاضر، ومن بينها" المزهر" الذي جمع فيه معلومات هامة يرجع إليه الفضل في

---

1 جلال الدين السيوطي، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، شرح وضبط محمد أحمد جاد المولى ومحمد أبو الفضل الإبراهيم وعلي محمد البجاوي، مكتبة دار التراث، الطبعة الثالثة، د.ت،1/ ص:أ،ب.

2 جلال الدين السيوطي، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، مصدر سابق، 1/ 1.

المحافظة عليها. وهذا الكتاب هو من أهم ما ألف، ومن السهل أن يمزج فيه بين النحو واللغة. فقد نقل السيوطي في مؤلفاته منهج الفقهاء والأصوليين، وحاول الابتكار في التبويب والتنظيم، وهو ما صرح به: هذا علم شريف ابتكرت ترتيبه واخترعته تنويعه وتبويبه، وحاكيت فيه علوم الحديث في التقاسيم والأنواع. يقول عنه صاحب تاريخ النحو:... فالإمام السيوطي كان ذا قدره هائلة على الجمع وموفقا في التهذيب، والترتيب.. بمثل خزانة أو مكتبه تضم عددا هائلا من المعلومات وتمت برمجتها بصفة محكمة. [1]

3. مآخذ الكتاب:

أ- كتاب المزهر يجمع مادة علمية كبيرة على غرار الموسوعات التي ألفت في ذلك العصر؛ فليس للسيوطي كبير عمل فيها إلا الجمع والترتيب باستثناء القليل من وضع بصماته فيها، ومع هذا فله مقدرة على جمع المعارف، وهو ما جعل عبده الراجحي يستبعده من حيزي دراسته لفقه اللغة في الكتب العربية." ففي مجال التقصي السيوطي ميدانه المفضل، وهو جمع المعلومات من شتى الكتب"[2]

ب- يتناقض السيوطي بين ما صرح به في المقدمة من أن كتابه لم يسبقه إليه سابق وبين مضمونه الذي اعتمد فيه على غيره، حتى انه ضمن مقدمة كتاب الصاحبي في فقه اللغة لابن فارس، وصرح بقوله أنه سيقول بمثل قوله. ومن عادة السيوطي أنه يشيد بقيمة مؤلفاته في مقدماته، ويدعي بالتفوق على غيره.

ج- وقد يبتر السيوطي عبارة المنقول عنه أو يختصر المطول. ما يجعل المعنى مستغلقا والغرض غامضا المزهر.[3]

ومع ما تقدم من مسالب فان ذلك لا يغض من القيمة الحقيقية للكتاب؛ فهو يمدنا بالمواد التي ضاع معظمها، وجهت صاحبه واضح في الجمع والترتيب والتنظيم، واطلاعه الواسعة جليل، فهو كنز من كنوز العربية ومصدر لا يستغني عنه طالب اللغة العربية.

ولا يفوتنا ان الكاتب جاء في تدهور الحضارة العربية فيما يسمى بعصر البعض. وان السيوطي اعتمد فيه على ما سبقه ونقل عن كثير من علماء اللغة والأدب الكثير. وان ظاهره الاعتماد على السابق كانت معروفه في ذلك العصر.

جانب من الكتاب:

النوع الثامن والعشرون... معرفة الإتباع

---

1 ينظر: تاريخ النحو، محمد المختار ولد، مرجع سابق، ص 359، 374.

2 تاريخ النحو في المشرق والمغرب، محمد المختار أباه، صفحه 358.

3 السيوطي، المزهر، مصدر سابق، 1/ 7.